التمثلات السيكولوجية للمرأة الجزائرية في المجموعة القصصية "على الشاطئ الآخر لزهور ونيسي".

د. عامر رضا

المركز الجامعي ميلة

*- الملخص:

يعدّ الحديث عن مختلف التمثلات السيكولوجية للمبدعة الجزائرية نوعا من التفاعل بين لغة الذات، والمجتمع الثقافي الذي تنقل لنا جميع توجهاته،وأفكاره المتنوعة من خلال جنس السرد الذي وجدت فيه المبدعة الجزائرية كيانها الإبداعي،فكانت العديد من القصص حينها تصور مختلف آهات،وهواجس المرأة الجزائرية المبدعة من خلال العديد من مشاهد الإبداع،وتمثلات شخصياته الإبداعية التي عكست في النهاية حالات المرأة كذات اجتماعية لها كيانها الفكري والوجودي في مجتمع أبوي بشكل خاص.

*** - *Résumé:***

Le discours sur le genre de créativité algérienne diverses représentations psychologiques de l'interaction entre la langue de soi, la culture et la société dans laquelle ils nous ont transportés toutes les orientations et idées varié selon la genre récit que l'on trouve une entité créatrice algérienne créatif, étaient nombreuses histoires alors visualiser différentes gémissements, et les préoccupations de la femme algérienne est créatif à travers de nombreuses scènes de la créativité, et les représentations créatives de caractères qui reflètent dans des situations sociales des femmes finaux sa intellectuelle et existentielle dans une société patriarcale en particulier.

*- مدخـــــــــــل:

لقد بقي الأدب النسوي الجزائري محتفيا بلحظة تأسيسه ردحا من الزمن كما كان يسوده تردد واضطراب متواصل، إذْ تثقله التجارب، والتمظهرات النفسية والموضوعية التي كانت تراود المرأة المبدعة، لكنّه بقي يمثل لحظة عبور من خلال الموازاة بين ما تبدعه المرأة، وواقعها المملوء بالهموم والآمال، وهو في غالب الأحوال يتمظهر في الأدب المعاصر كرسالة ذات وظيفة شاعرية أو جمالية هدفها تأمين عملية التواصل اللّغوي متضمناً بعض التمرد الذي يخفي أكثر مما يعلن، لكنّه يشير دائماً إلى المسكوت عنه في النص الشعري،على الرغم من محاولة الأدب النسوي أن تكون تصوراته إيحائية في شحنها ببطاقة وجدانية مخضبة بالمشاعر،والأحاسيس الأنثوية التي تفتح أمام القارئ نوافذ من القراءات برمزيتها وإطلالتها الدائمة التي تفضح كبرياءها فيغرق نصها الإبداعي في غوايته، ويمعن في مراوغته التي سرعان ما تنكشف، فينقلب العنوان نصاً والنص عنوانا، فيتبادلان المواقع فيما بينهما بوضعهما العديد من الأقنعة التي تبرز تصور المبدعة العربية.

وكلّ هذه التصورات نجد أنّها قد شكلت منافذ،ومفاهيم محورية داخل الكتابة الإبداعية النسوية المعاصرة المنحدرة من سياق الكتابة التقليدية الرافضة للسلطة الأبوية، من خلال التأسيس لنمط إبداعي جديد متمرد"بدأ يعلن عن وجوده ويسجّل حضوره في الحقل الأدبي الذي كان حكرا على الرجل أو يكاد"،وبذلك يرفض المساواة الإبداعية تحت سقف الوعي الذكوري المهيمن على كتابة المرأة، الإبداعية " وهذا مادفع الحركات النسائية إلى السعي لتغيير النظام اللغوي التقليدي عبر وضع برنامج تحرري يأخذ بعين الاعتبار مسألة تركيب لغة متحررة من القيود التي تعيق تحرر فكر المرأة،وتعبر عن المساواة لأنّ مفاهيم الذكوري والنسوي هي في النهاية مفاهيم ثقافية" وبالتالي بدأت الكتابة النسائية تبحث عن مختلف صور التشكيل الإجناسي في بنية اللّغة،عبر العديد

من الأنساق الاجتماعية،والنفسية،ذات قيم فكرية وجمالية مشكلة حلقة وصل بين لغة الذات،وآليات الكتابة النسوية،وهذا ضمن أطر إنسانية ترفض منطق العبودية الذكورية شكلا ومضمونا، لذلك كانت الكتابة السردية النسوية عند الأديبة الجزائرية "زهور ونيسي من خلال مجموعاتها القصصية – على الشاطئ الآخر- كنموذج إبداعي نفسي يصور مختلف آهات المرأة الجزائرية التي مازالت تعاني بشكل خاص من ظاهرة الإستيلاب الاجتماعي المتعدد الأوجه لذلك كانت المجموعة القصصية (على الشاطئ الآخر) تنقل لنا صورة سوسيولوجية لحياة المرأة الجزائرية داخل مجتمعها الذي فرض عليها نبرة من الحيرة والقلق الوجودي داخل أسوار مجتمع ذكوري لايعيرها اهتمامه سوى أنّها ذات مهمشة،وعليه فقد طرحت الكاتبة الجزائرية "زهور ونيسي" بكل جرأة معاناة المرأة الجزائرية بين ضفتي المتوسط(الجزائر/ فرنسا)،وكيف تجرعت المرأة الجزائرية عبر تاريخها النضالي عدة هواجس نفسية منها: الوحدة/ الألم/ الخوف/ الكآبة/ الغربة/ الحزن/الحرية....إلخ.

1- المحور الأوّل: التجربة الإبداعية للأديبة الجزائرية

يعدّ عصر النهضة الأدبية والفكرية منارة حقيقية شهدت ظهور عدد من المبدعات الرائدات اللواتي أرسلن أنوارهنّ الخافتة حين كانت المرأة في ليل دامس من الجهل والركون ،ومن خلال ذلك نجد أنّ الدور الحقيقي للمرأة الجزائرية بدأ في الظهور خاصة بعد وقوع الأمة الجزائرية تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي،ومبادرتها في الذود عن وطنها بالسّلاح والقلم، فكانت« الكتابة إذن تفجير للمكبوت والمخفي» [1]،خاصة ما وجد عند الكثير من الأديبات الجزائريات بداية من المبدعة:(زهور ونيسي/زليخة السعودي،وجميلة زنير،أحلام مستغانمي) وغيرهن من المبدعات حيث كان أدبهم أشبه مايكون بتحليل نفسي واجتماعي لهموم المرأة الجزائرية خاصة والعربية عامة في مجتمع ذكوري أنكر عليها حقوقها الإنسانية،ومن ذلك التعبير عن نفسها،أو الاعتراض على مالا ترضى به، من قضايا باتت تهدد كيانها.

ففتح هذا الأمر للمبدعة لجزائرية نافذة الإرتقاء بإبداعها الروائي/القصصي حيث كان عالمها أقرب إلى التعبير عن التجربة الأنثوية الحميمية،والأحزان التي ترافق هذه التجربة والجدار السميك الذي تصطدم به في مجتمع تقليدي مغلق،خاصة في ظلّ مثاقفة المجتمع الجزائري،وبعض العائلات العربية المتعلمة بالثقافات الغربية الوافدة إلينا عبر مختلف نوافذ التأثير والتأثر،فكان هذا دافعا حقيقيا لبعض المبدعات أن يتصلن بالثقافات الأجنبية،ويمكن القول،إنّ الرغبة في التحرر التي أفرزتها المعاناة، وتنوع أشكال الإحباط التي تعانيها المرأة الجزائرية المبدعة في عصر النهضة « فضح التقسيم الاجتماعي»[2]،فكانت كتابتها صرخة ورهانا حقيقيا للوصول للإبداع السردي من خلال «التحولات الجذرية التي عرفها تاريخ المرأة العربية الحديث على الصعيدين ؛التعليمي متمثلا في إنشاء مدارس للبنات، وسياسيا في مستوى انخراط المثقفات في حركات التحرر الوطنية»[3]، فكانت تلك الإسهامات المتنوعة للمبدعة الجزائرية « من أهمّ الأسباب التي هيّأت لارتقاء الكتابة الجزائرية إلى منزلة الذات الثقافية المبدعة»[4] الباحثة عن استرداد مكانتها في صنع القرار، ولذلك كانت المناداة بتحرير المرأة الجزائرية المبدعة من داخل النصوص القصصية بمثابة الدعوة للاعتراف بالجميل ورد الاعتبار إليها، تحقيقا لوجودها الإنساني من جهة، ورفضا للقهر من جهة ثانية،لما قدمته في فترة الاستعمار الفرنسي وصولا إلى مرحلة البناء والتشييد والتطوير.

لقد بات السرد القصصي الذي تكتبه المبدعة الجزائرية« الذي تكتبه المرأة يشغل بال كثير من الكتاب والنقاد،»[5] فراحوا حينها « يحاولون الوصول إلى نبضات مشاعرها وطريقة تفكيرها ولغة تعبيرها من خلال ماتكتب»[6] ذلك أن إبداعها السردي هو محاولة جريئة لتشكيل لغة تحمل شعار التّحرر والتمرد، من خلال اللّغة السردية النسوية بشكل خاص والتي تبدو« هي الوسيلة الوحيدة لاستعادة الهوية»[7]،فالمرأة الجزائرية الكاتبة ناضلت لتحرّر ذاتها الإبداعية من قبضة الآخر الذي ظلت تحت وصايته زمنا طويلاً، ما دفعها بقوة لإثبات حقها في المشاركة العلمية والعملية في الأنشطة الحياتية والفكرية،فبالرغم من إنجازاتها اللافتة في مختلف الحقول الفكرية،إلاّ أنها لا تكف عن السعي لاستعادة حقوقها متخطية بذلك كل محاولات وأدها من طرف المجتمع

الذكوري الذي مازال يمارس سلطته الفكرية على إبداعها السردي إذْ كانت الكاتبة (زهور ونيسي) حينها مهتمة بهذه النقطة لتقوم بأكبر حركة تمرد على الأنظمة القديمة حينما تمردت على المرجعية السردية الذكورية النمطية،وبذلك فرضت نمط التحرر.

*- أوّلا- مرحلة سرد الذّات:

لقد اتجهت القصة النسوية الجزائرية في مرحلة المعاصرة نحو لغة التطوير والتجديد،ومواكبة الواقع الذي عكسته حركة السرد العربي أثناء المرحلة الرومانسية بالتعبير عن محتوى العالم الداخلي للمبدع،وتحليل نفسيته،حيث أصبح متحررا بعد أن كان قابعا لفترة من الزمن،حيث « استطاعت المرأة الكاتبة المعاصرة أن تغيّر دورها القديم لتبحث عن ذات جديدة،فقد تعايشت مع تطورات المجتمع المعاصر،وعبرت الأحداث التاريخية، والاجتماعية والإنسانية»[8] فأصبحت القصة النسوية تحكي مواضيع عن الواقع اليومي مبتعدة عن كلّ غرض أو موضوع تقليدي، ليتحول الإبداع إلى منفذ هام تستلهم منه لغتها السردية،وتعكس من خلاله ذاتها بكلّ حرية،،وفي فترة كان فيها المناخ العام للمجتمع العربي مناخ تغير، تمكّن إبداعها من الارتقاء إلى مرتبة فرض ذاته دون عقدة أو إكراه على المجتمع البطرياركي؛وعليه نجد أنّ« المرأة في الحياة والأدب ليست إضافة تكميلية للتاريخ بل هي عامل أساسي لنهضة الفكر والإبداع وميزة حقيقية للتاريخ» [9]،كون أنّ المبدعة الجزائرية في وقت مضى لم تجد، فيما هو متاح من النتاج السردي، والأدبي ما يعبّر عن همومها الخاصة،وقد شكّلت هذه المعظلة إشكالا إبداعيا،كان فيما بعد من أبرز الدوافع لظهور القصة النسوية الجزائرية المعاصرة بعد أن نبغ فيها عدد وفير من المبدعات «حفلت بهنّ وبأدبهنّ كتب التاريخ في شتى العصور والأزمنة» [10] في تجربة جمالية مغايرة جعل من السرد النسوي يستعيد بعض أنفاسه التي فقدها.

وقد ظهرت العديد من المحاولات السردية النسوية الجزائرية عبر فترات تاريخية متباينة من القرن العشرين منهنّ:(ياسمينة صالح،زهرة ديك،صفيّة كتّو،آسيا جبار،أحلام مستغانمي،فضيلة الفاروق،جميلة طلباوي، زينب الأعوج...إلخ)،وكلّ تلك النماذج بدأت تصنع لنفسها كيانا مستقلا قصد الوصول للمجد الإبداعي الذي اعتلاه الرجل زمنا ضمن نسق كان فيه « التفرد والذات المتعالية»[11]،حيث كانت جل تلك المحاولة أكثر نجاحا،بعد أن تجاوزت حدود الإقليمية لتصبح نقلة فنية،وحضارية عامة بدأت بوادرها في نظم العديد من المبدعات الجزائريات ولم تمضِ سنون قلائل حتى شكل هذا اللّون الجديد من السرد القصصي الجزائري طفرة نوعية حطمت كل القيود المفروضة على السرد النسوي الجزائري،على أنه إبداع ذكوري مقدس لاتستطيع المرأة امتطاء قوالبه لأنّها غير مؤهلة لولوج هذا العالم « ومن الواضح أنّ أسئلة الإبداع والأصالة ومطمح التأصيل مع سؤال الذات عن موقعها الإبداعي الفردي المتميّز كانت المحك الدائم وراء الإحساس بأنّنا في زمن مختلف برزت فيه فردية الفرد وشعور الذات بأنّها قيمة إنسانية لها خصوصيتها من جهة ولها حقوقها » [12] وتطلّعاتها من جهة أخرى.

لقد عرف قلم المرأة السردي في النهاية طرح قضايا لم تكن تخطر ببال الرجل المبدع،إذ نجد أنّ إبداعها « يمتد ويترابط ويتشكل، وانتماؤها العميق لأسرتها وحبها وعطائها لاحدود له في التعبير عنه»[13]،وهذا في حد ذاته تميّز كبير بين تفكير الرجل وسرده عن المرأة وإبداعها الذي مكنها من طرح العديد من القضايا التي كانت غائبة عن عقل المجتمع خاصة الأسرة والعائلة والأبناء، وما تربطهم من علاقات اجتماعية متنوعة لا يمكن إلاّ للمرأة أن تطرحها في سردها الحكائي فقط، فهو مجالها الحرّ للإبداع وإفراز نظرتها للحياة والإنسان ولقيمتها ولفعلها بعيدا عن قهر الرجل.

إنّ السرد النسوي الجزائري المعاصر بكلّ مكنوناته،وجغرافيته،هو صدى الذات الأنثوية المجروحة،التي وجدت فيه هدفها« ضمن فضاء التبادل الرمزي كفضاء مؤسساتي» [14] يندرج داخل هندسة النص القصصي مواكبة به كلّ المصائب التي شهدها المجتمع الجزائري عن طريق إبراز مختلف صور التحدي الذي باتت تكابده المرأة الجزائرية المبدعة مع الكتابة من جهة،وأزمات المجتمع الجزائرية بداية من الاستعمار الفرنسي،وماخلفه من جرائم إنسانية في حق الجزائريين،ونهايتة بالعشرية السوداء وإفرازاتها الخطيرة على نفسية الفرد من دمار وقتل وتهجير من جهة ثانية،لإبراز المشهد التاريخي،وحالات الاحتقان التي عاشتها الأمة الجزائرية بكل أشكالها،وأمام هذا الوضع الراهن ظهرت نخبة من المبدعات اللّواتي نظمنَ نماذج قصصية تفسر واقعهنّ المرير إلى« جانب الحدس

والرؤى المركزية(...) والتي أصبحت تُطلب في ذاتها،ولذاتها»[15]،ولتختزل بذلك صور أقانيمها النفسية، في ظلّ الفراغ الثقافي الذي أحدثته خيبات المجتمع/الساسة في الجزائري بداية من الصراع على السلطة بعد الاستقلال وصولاً إلى أزمة البلاد مع الإرهاب في مطلع التسعينيات،وما خلفته من شتات فكري،وصراع نفسي يتجرع مرارته كلّ ثانية المثقف والمبدع والفنان،ما دفع المرأة إلى الجرأة على خوض تجربة الكتابة الأدبية الجريئة،والتي وجدن فيها متنفسًا للتعبير بكلّ حرية بعد أن لزمن الصمت مدة كبيرة كنّ فيه هدفا للقنص الفكري والنفسي، ومركزا للتصفية.

ثانيًا- مرحلة نقد المجتمع:

لقد باتت الأصوات السردية النسوية في نهاية السبعينيات حتى بداية التسعينيات من القرن الماضي،تمثل انعطافا كبيرا،إذ تمكنت إلى حدّ بعيد من الإبتعاد عن السردية المباشرة للأحداث من خلال الإستعانة « بالعناصر الدراسية في فني القصة والمسرحية التي تساهم في خلق الصراع والحركة الدرامية» [16]في مختلف الأعمال القصصية فهي تحمل في مضامينها مسؤولية بالغة التعقيد، إذ لم يكن الأمر حينها غاية في السهولة، بل هو مجازفة كبرى خاصة أنّ الأديبات في القرن العشرين كُنَّ مؤمنات بثقافاتهن المتعددة ،فكنّ يفحصن نصوصهن السردية بأنفسهن على أن يقدِّمنها إلى غيرهنَ من الأدباء النقاد.

فالشخصية السردية النّسوية إذن كانت واثقة بقدراتها الثقافية،ومؤهلها الأدبي للصعود إلى الإبداع،خاصة أنّها« أقدر من الرجل على معالجة قضاياها ومشاكلها وسبر أغوارها الذاتية، وإبراز معاناتها، وبلورة همومها، وكذلك تظلّ هي الأقدر على تصوير انعكاسات التطور الاجتماعي على ذاتها وكيانها ومعايشة أحاسيسها» [17]، وذلك من خلال تحصين المبدعة لأدواتها الخاصة،التي تنطلق من ثقافتها ووعيها ،عندها فقط تكون تلك الكاتبة محطَ اهتمام وثقة الآخرين بشكل محايد« وبطبيعة الحال فإنّ لكلّ أديبة ظروفها وأحوالها النفسية والاجتماعية،وهمومها الخاصة والعامة »[18]، المحيطة بها ،وتجربتها الإبداعية التي توجه سردها نحو ثقافة إيديولوجية تميزها عن غيرها.

وهذا ماحدث فعلا مع بعض النماذج من الروائيات الجزائريات،ومن بينهنّ القاصة (زهور ونيسي) ،فقد استطاعت معظم الأديبات الجزائريات« سواء في تجاربهنّ الذاتية أو الجماعية أن يقفن على أجزاء تجاربهنّ » [19] والتمثيل الحسي والبلاغي لها الأمر الذي تحقق معه وعي ملموس في لغة الحوار السردي الذي بات يحاكي خصوصية اللّغة الحكائية للمرأة،والتي مثلت سمة الإبداع النسوي بجدارة فنيّة مع أنّ« حضور العناصر الحكائية ليس جديدا،»[20]،ومع ذلك فهنّ يتألمن في صمت « وهي ميزة (...) لها مبرراتها وأسبابها في هذا الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الممزق، كما لها مرتعها الخصب في هزائم الأمة العربية المتتالية» [21] والمتزامنة أحيانا مع هزائم المرأة الجزائرية/ العربية / الحبيبة/ الروائية.

وعندما نتأمل ببليوغرافيا الكتابة النسوية في ميدان السرد العربي في الثلث الأخير من القرن العشرين نجد أنّ هاجس إثبات الذات،وما يترتب عليه من إعلان للهوية الأنثوية وتوسيع حيز حراكها الحياتي والأدبي على درجة من الوضوح، يعدّ انتفاضة واعية بصور التهميش والانتقاص الذي عانت منه زمنا، لذلك كانت الكتابة القصصية النسوية تمثل طاقة كامنة تحررت لتحطيم كل مظاهر التسلط،والاستبداد وفضح المتناقضات الاجتماعية ذلك أنّ معظم التعب النفسي الذي صورته الكتابة السردية النسوية« ليس إلاّ وليد الصراع الكامن في نفوس صاحباته،بين هموم الذات وهموم الجماعة،» [22]،لهذا كانت المرأة الجزائرية الكاتبة على الدوام تعزز هذا الجانب من ذاتها قدرةً وتميّزاً، لإبراز الذات الأنثوية كقوة فاعلة ومشاركة في الفعل الإبداعي،لإبدال موقعها من خانة المقصي إلى الموجود للبرهنة على حقها المشروع في عملية الإبداع وفق رؤيتها للعالم ولنفسها بالخصوص،إذ« من الصعب على غيرها إبراز المسكوت عنه لديها وإظهار المخفي في ساحات ذاتها» [23]،وبهذا أصبح الإبداع النّسوي الجزائري ظاهرة ثقافية، ورافداً من روافد النثر العربي المعاصر،حيث اتّسم بلغته،وبمواضيعه المصورة لمختلف جوانب النفس البشرية،حاملا حلم التحدي وقضية التحرر والمساواة بين عالمي المرأة والرجل،من أجل القضاء على جميع مظاهر العبودية،بعد أن أصبحت القاصة الجزائرية تعيش في توتر دائم بين طبيعتها البيولوجية وبين حريتها مما يجعلها دوما في بحث مستمر[24] نحو استكمال وجودها وكينوناتها.

واليوم يمثل السرد القصصي النسوي الجزائري المعاصر مرحلته، التي ستصنف بعد حين على أنها أيضاً مرحلة مهمة من تاريخ الأدب الجزائري في كامل المنطقة العربية، خاصة أنّ المرأة المبدعة في بلاد المشرق والمغرب كانت على خط واحد في مواجهة كلّ مظاهر الاضطهاد التاريخي، والأدبي الذي فرض عليهنّ بمنطق الفحولة،« ولايخفى ما للأوضاع السياسية من أثر على حياة المرأة في هذا الجناح من وطننا العربي الكبير،في شتى نشاطها الاجتماعي والثقافي وحتى العقائدي» [25]،والتي باتت تحاصر كيان الإبداع النسوي من كلّ حدب وصوب، فكان على هذا الإبداع الوقوف بصرامة نحو تلك المنابر المذكّرة التي استهدفت كل تجربة نسوية حديثة تبحث لنفسها عن التأسيس والولوج لعالم بات مستهينا بكيانها ومحاصرا لفكرها ومعتقداتها الإبداعية،والتي تمثل نافذة هامة في فنّ الكتابة النسوية،فهي الشق المخفي من المجتمع وفكره الذي يجب أن يبرز بوضوح من أجل إحداث التوازن اللغوي والإبداعي بين الرجل والمرأة في معادلة الكتابة السردية على وجه الخصوص.

إذ الإبداع النسوي الجزائري في نهاية المطاف بدأ يشهد تحررا عبر نافذة الإبداع القصصي ليخرج من غربته وكذا هيمنة الصوت الرجالي،وليس غريبا أن تتعلق المبدعة الجزائرية بمشاهد الحلم والاستئناس المخزنة في ذاكراتها،وهما عاملان مساعدان على عملية التأليف،ومصدران هامان لنقل مختلف الأحاسيس التي تعيشها المرأة،وتحاول استرجاعها ومعايشتها، واستشراف الذات بكيانها وجسدها الأنثوي من خلال التعلّق بتلك الصور التي كانت في حكم المنفلت من الزمن أو المهمش في بؤرة اللاشعور،وبالكتابة وحدها تمكنت المبدعة الجزائرية من إظهار تلك المشاهد الحسية، والنفسية والكشف عن تلك المعاناة والآمال،والتي تخص بها ذاتها،وتتفرد بها عن الكتابة الإبداعية ببعدها الخيالي الذي يجعل من خطابها النسوي القائم على ثنائية(الحلم/الذاكرة)،يصبح حينها يجسّد « خطابا للرغبة وللإدراك المحررين من وطأة التقاليد» [26]،وفلسفة الطقوس التي تمارس سلطاتها على المرأة والتي هي في تطلع مستمر إلى بناء أنا مغايرة متسائلة قلقة من المستقبل ومايخفيه.

إذن باتت مسألة الكتابة السردية عند المرأة الجزائرية بمثابة نظرة جديدة للعالم، وطريقة حضورها فيه،وهذا يعني رغبتها في أن تكون فاعلة في المجتمع،فهي تشرّع الوجود لنفسها،ولنهضتها،وهذا مايجعل استراتيجية الكتابة النسوية « تتحدد وفق معطيات مسبقة ،يكتسبها النص من تلك الفكرة التي يبني عليها الكاتب نصه، لينطلق إلى عمقه محاولا بذلك بناء وتركيب أجزائه(...)،فهو يحاول أن يضع تصميما أوليا لما سيكتبه» [27]،إذن فالإبداع النسوي الجزائري نجده قد خاض مسيرة كفاح مريرة أدّت إلى بروزه تدريجيا خاصة بعد الخناق الذي فرض عليه من طرف المؤسسة الذكورية التي أصبحت تمارس نوعا من الوصاية اللّغوية،والجمالية عليه،وعليه فإنّ« المتتبع لسيرة النساء الكاتبات على مرّ العصور يلحظ أنّ لهذه الكاتبات طابعها النسوي الخاص والواضح في معالجة قضية المرأة ومشاكل الأمومة والبيت على نحو متحقق صادق الجرأة »[28] صحيح أنّ هناك اختلافًا على مستوى آلة الإبداع،لكن هذا الاختلاف يعود« إلى طبيعة المبدع نفسه،فالمرأة قد لاتستطيع أن تكتب بجرأة تماثل جرأة الرجل في طرحه للموضوعات الاجتماعية والسياسية(...)إنّ المرأة لعبت دورا لايستهتان ببعد أن كرست الأدب لنصرة قضايا المرأة المختلفة وإثبات قدرتها على العطاء الأدبي »[29]،ومع ذلك بقي الإبداع النسوي الجزائري في مجل القصة يشكل ظاهرة فنيّة وجمالية في كلّ مستوياته اللّغوية والفكرية تستدعي من المتلقي القراءة الواعية التي تسمح له بمفهم هذه التجربة دون خلفيات تحول دون ولوج القراءة الصحيحة للإبداع.

وعليه كانت التجربة السردية للإبداع النسوي الجزائري عبر التاريخ الإنساني تشكل صورة مغايرة لما عليه الإبداع بشكل عام،فالتجربة السردية النسوية الفتية خلقت تواصلاً فكريا معها،بعد أن وجدت المبدعات الجزائريات التواصل مع أفكارهنّ، وطريقة الطرح وجرأتهنّ في نقل مختلف آهات المرأة المبدعة التي باتت على محك النقد،ومنه كانت المرأة الجزائرية في الوقت نفسه تحاول مواكبة العديد من تجارب المبدعات المشرقيات اللّواتي قمن بخطوات جبارة في الكتابة السردية العربية،وكان لهنّ حق الريادة في طرح مختلف القضايا التي كانت تقع ضمن دائرة المحظور تناولها من طرف المرأة، لعدم أهليتها في مناقشتها ،وتقديمها للمتلقي للمناقشة، فكان التقليد السردي لتلك التجارب عاملا مساهمًا في تطوير تجربة المرأة الجزائرية،وتفعيليها في ميزان النقد.

2-المحور الثّاني:المشاهد السردية لمعاناة المرأة الجزائرية من خلال المجموعة القصصية

في الحقيقة هناك علاقات وثيقة بين علم النفس والأدب، حيث أنهما يشتركان – رغم اختلاف مناهجهما – في الاهتمام بالخبرة والسلوك والشخصية الإنسانية،لكن يمكننا أن نلاحظ أن معظم الدّراسات المبكرة التي حاولت الاهتمام بالأدب من وجهة نظر ذات طابع تحليلي أو ذات طابع تأملي حدسي،إذ يعدّ هاجس الحزن ميزة أساسية وجوهرية تشير إلى طبيعة الانكسار النفسي والوجداني للإنسان العربي في ظلّ واقع بائس وإشكالي أفرز بنى سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية هشة ومتخلفة وملتبسة،وهذا ما انعكس فعلا على العناوين القصصية النسوية في المجموعة القصصية "على الشاطئ الآخر" لزهور ونيسي،وعليه فالسرد النسوي الجزائري نجده قد حفل بالعديد من المشاهد النفسية التي تشكلت عبر الترسبات اللاشعورية في ذات المبدعات اللّواتي كنّ يبحثن عن متنفس لمكبوتاتهنّ، وآهاتهنّ التي تشكلت وفق أنساق مشحونة آنيا بلغة النوح والبوح الأنثوية.

وعليه كانت القاصة الجزائرية دائما تحاول كبت مآسيها « حيث صورت همومها وعكست انفعالات المرأة وتطلعاتها وسعيها الدؤوب لتخليص نفسها ولإثبات ذاتها» [30] إلى أن أثمرت تجربتها الإبداعية بتجربة سردية جديرة بالتنويه والاهتمام من قبل الرجل من جهة،والمتلقي الدارس من جهة أخرى،والملاحظ على التجربة النسوية الجزائرية أنها مازالت في بداية الطريق لما فيها من سياقات تاريخية وفنية جمالية مازالت بعد بحاجة إلى ترتيب ذوقي،وفني وسياقي لكي تتأسس عليه لغة السرد النسوي الجزائري المعاصر،وهذا ماجعل من عناوين المجموعة القصصية "على الشاطئ الآخر" لـــ زهور ونيسي «استشكالا تحفّز القارئ على استنطاق النصوص تأويلا أو تفكيكا» [31] ،لكون المرأة الجزائرية القاصة مازالت لحد الآن في حالة صراع نفسي مع الذات المبدعة، والتي مازالت لم تتشكل فيها تجربتها الفنية على السرد داخل الفضاء النصي النسوي.

فالقصة النسوية الجزائرية تتشكل فيها طقوس نسوية لغوية خاصة لجأت إليها المرأة القاصة في وقت من الأوقات لتنقل لنا مختلف آهات المرأة ما أتاح لهنّ « فرصة التعبير عن أنفسهنّ وإحراز بعض الانتصارات» [32] التي وجدت فيها المرأة ظالمتها داخل نظام اللّغة لتنقل لنا حقيقة ذلك المجتمع الغامض عن الرجل اجتماعيا ونفسيا وأسطوريا وتاريخيا،وعن عوالمها غير المرئية للرجل من خلال لغة التمازج بين طبيعة الذات الأنثوية،وطبيعة اللغة السردية« دون أن نغفل دور الأدب كرسالة لغوية فكرية في الدفاع عن قضايا المرأة والتعبير عن اهتماماتها،ومن ثم كسر الحواجز الثقافية والإيديولوجية المعرقلة لتقدمها» [33]،وهذا ما يجعل عوالم المرأة المبدعة مفتوحة على فعل التخيل الحالم بلغة التواصل التي تريدها الأنثى مع الآخر المسيطر على "اللّغة/النظم"،ومع ذلك تبقى القصة النسوية الجزائرية في « حالة صراعية بين الذات، والذات الأخرى التي تسعى إلى مصادرة غيرية الآخر» [34] الذي يعكس فعلا جمال الإبداع النسوي الذي تتوحد فيه لغة النص مع لغة العنوان القصصي كمرجعية للذات،ومكنوناتها التي نجدها تبقي في حالة صراع دائم لتأسيس مرجعيتها الثقافية في عالم ذكوري مسيطر،وهذا فعلا ماكشفت عنه المجموعة القصية (على الشاطئ الآخر) للروائية الجزائرية "زهور ونيسي".

1/2-. التمثلات السيكولوجية في غلاف المجموعة القصصية-

إذا كانت الثقافة المعاصرة ترويجية بدرجة لافتة ، فكذلك ثقافة الصورة حيث لا يكاد يخلو نص مطبوع أو نص إلكتروني من الصورة ، في تجسيد حداثي واضح للاعتقاد الميتافيزيقي بأسبقية الصورة على الكلمة، هذا ما تشير إليه الحكمة الصينية الشهيرة التي تقول :« صورة واحدة لها قيمة ألف كلمة » [35] وهذا ما يذهب إليه "بشير عبد العالي"قائلا: « فإن قراءة الصورة الواحدة يتعدد نظريا بتعدد القراء »[36]، كما يعتبر الغلاف الخارجي لأيّ عمل إبداعي مكتوب أوّل واجهة مفتوحة الدلالات والتأويلات تصادف العين البصرية لمتفحص العمل وهي المحفز للمتلقي بالإقبال أو الإدبار على اقتناء هذا الإنجاز، ومطالعته فغلاف الكتاب إذا واجهة إشهارية، وتقنية تساهم في عملية القراءة والتلقي.

وتبدو مسألة قراءة الغلاف وجميع تمفصلاته المحيطة به من ألوان/ عنوان رئيس/ تصميم هندسي للغلاف/ وصور مصاحبة لنص الغلاف مسألة تحتاج إلى تمرس في تحليل العتابات النصية والنصوص الموازية المصاحبة لتلك المدونات المضوعة تحت آلة القراءة

النقدية،وقد تمكن النقد العربي المعاصر من تحليل العديد من المدونات الشعرية والسردية وعرض عتبة الغلاف وتقديم قراءة لها سواء كانت سيميائية أو تفكيكية أو أسلوبية أو تداولية ،وقد تم مقاربة عتبة الغلاف من طرف العديد من النقاد منهم الناقد جميل حمداوي/ عبد المجيد العايد/ رضا عامر...إلخ، وغيرهم ممن اشتغلوا على واجهة الأغلفة لمختلف الإبداعات الشعرية والسردية،وكل واحد منهم قدم قراءة نقدية يراها تتناسب مع النص أو الإبداع المطبقة عليه تلكم المقاربة النقدية.

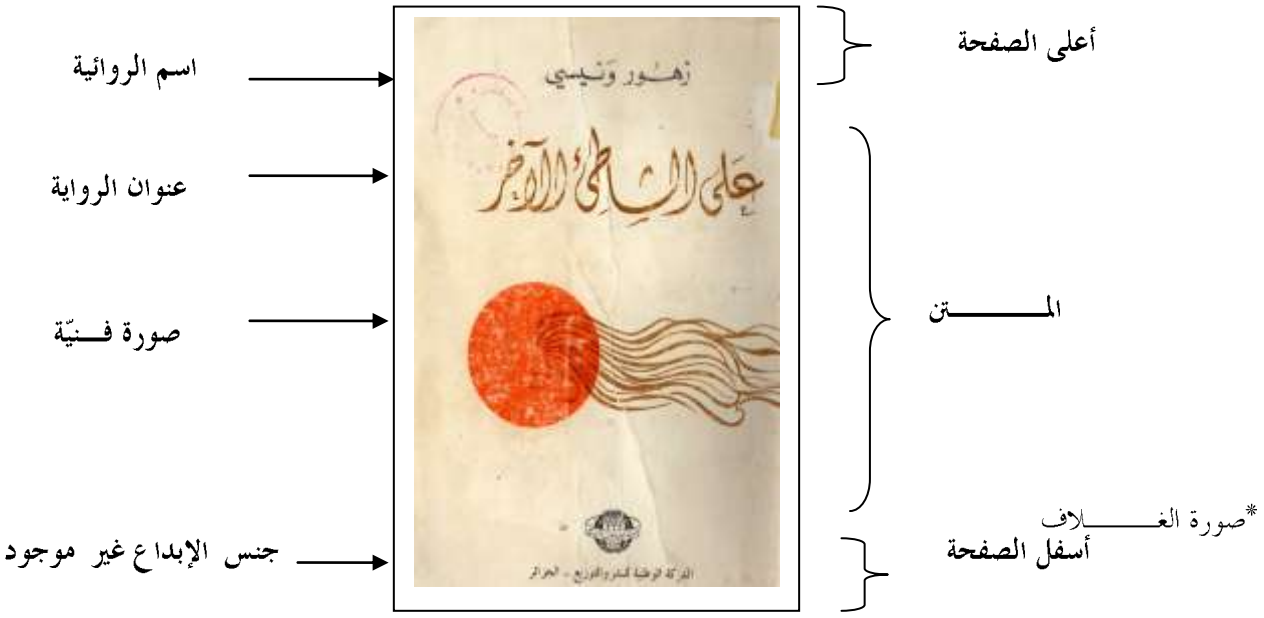

من خلال القراءة البصرية لغلاف المجموعة القصصيّة يتضح جليا للمتلقي عتبة غلاف يحمل دلالات ، وشفرات سيكولوجية تلخص هوية "اللّوحة القصصيّة" التي تحتوي على اسم الروائية في أعلى صورة الغلاف باللّون الأسود ليأتي عنوان المجموعة القصصية باللّون البني عاكسا الهوة بين الشاطئين: شاطئ الحرية "الجزائر"/ شاطئ العبودية "فرنسا"، و ماتحمله من معاني الإستدمار،والقهر ولعلّ الهوة السحيقة بين العالمين مثلتها المسافة الرقمية/الزمنية في كلمة "الشاطئ"، لتأتي بعدها صورة شمس برتقالية اللّون تتوسطها صورة وجه امرأة تبحث عن سبل الحرية بسنابل شعرها المتموج مع رياح الحريّة الحالم،كما أنّ اللون البنّي للعنوان رسم معاني هذا الأفق" الأرض والوطن والحرية،ورائحة الأنثى" لتجسد للمتلقي أهمية دور المرأة الجزائرية في تكريس معاني الحرية والعشق الأبدي حيث لعبت الألوان دورا هاما في التأثير على نفسية الفرد، كما أنّ الميل إلى بعض الألوان يرجع إلى ظروف حياتنا وثقافتنا، كما يرجع إلى الظروف النفسية التي مرت بها المرأة الجزائرية بشكل خاص أثناء معركة التحرير والنضال التي كانت مملوءة بالحزن والغموض الشديدين عاكسة بذلك عمق الغربة والحنين للوطن، والشوق للذات،وهذا ما تلخصه هوية "اللوحة القصصيّة" من خلال الإحالات المجسدة في الشكل الآتي:

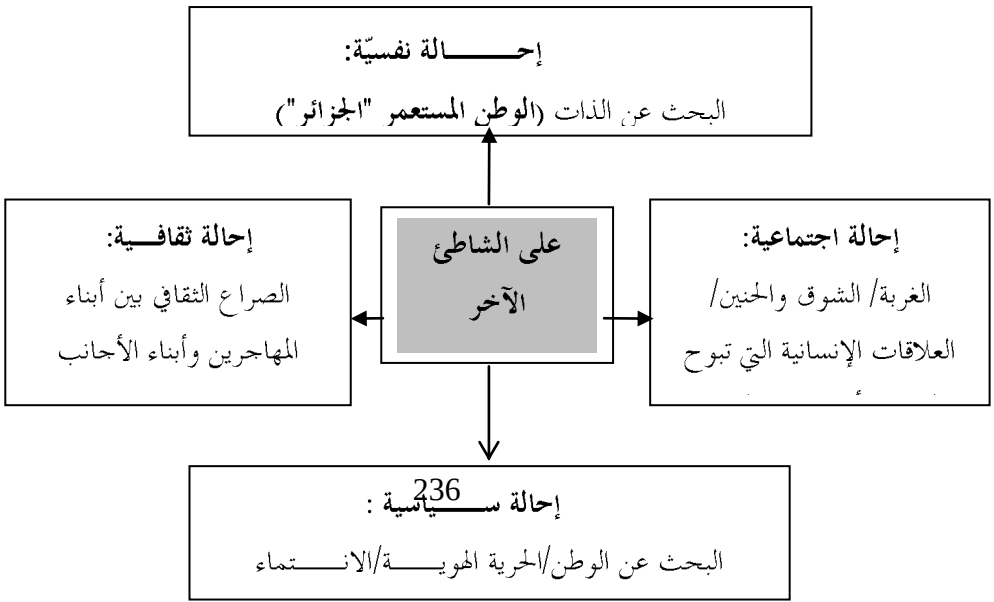

-2/2 التمثلات السيكولوجية في بنية المجموعة القصصيّة "على الشاطئ الآخر"

يعدّ النص القصصي صورة نفسية للمبدع لكونه« يهتم بالشخصية الإنسانية الفردية للشاعر ومزاجها الذاتي»[37]في عملية التّنفيس عن خفايا الذات لبروز الفنّ، وهذا يضع عنوان الإبداع في صورةٍ تثير كل من يتلقّاها للقراءة،ومحاولة فهم نفسية تلك الذات الباحثة عن التنفيس والبوح عن الهموم والرغبات الإنسانية،وهو لا يكتفي بهذا،بل يريد أن يوصل عمله إلى غيره ليعيش معه التجربة ويسقطها على ذاته ليشاركه تلك العواطف الدفينة ويخرجها من ذات المتلقي عن طريق التداعي الحرّ ليصل به إلى مرحلة التطهير،فقد قيل إنّ المبدع والمفكر "غوته" حرّر نفسه من آلام العالم بتأليف رواية"آلام فرتر"،وأنّ الشاعر الفرنسي"دي موسيه"،كان يلجأ إلى الشّعر لإنقاذ نفسه من ظاهرة الانتحار،من خلال استرجاع تجارب الماضي،فالنص الأدبي يبقى حالة نفسية تعكس شعرية العنوان/ النص للتعبير بصدق عن آهات المبدع « على أنّها تمثل وثائق أو أعراض مرضية» [38]،يجب طرحها من النفس البشرية والتخلص منها عن طريق الكتابة الإبداعية الشّعرية بشكل خاص بوصفها« علاجا يسعى للكشف عن الجوهر المكبوت عن طريق اللّغة» [39]خاصة أنّ المرأة الجزائرية المبدعة في حالة سعي حثيث إلى« تمزيق كلّ الأقنعة الزائفة وكشف الأسماء المستعارة،من أجل إرساء مفهوم الاختلاف والخصوصية في لغة المرأة» [40]،والتي تبقى في تطور مستمر مع لغة الذات/المجتمع بشكل هادف.

ومن هنا نجد أنّ الإبداع القصصي النسوي الجزائري يصور لنا مفارقة صريحة بين عالمين:عالم داخلي (النفس)،وعالم خارجي(الواقع) الذي يفسر ويعلل مختلف المكبوتات،والآهات التي تشكلت وفق أنساق،ورؤى المبدع،وبذلك« ينتهي التحليل النفسي إلى أنّ الإبداع الأدبي ليس إلاّ حالة خاصة قابلة للتحليل» [41] ،وعليه فقد تناول الدراسة المجموعة القصصية "على الشاطئ الآخر لـــ زهور ونيسي" التي وجد أنها في معظمها آهات نسوية مشحونة بأوجاع،ومشاعر مرهفة تعكس نفسية المرأة الجزائرية العادية/ المبدعة وما تعانيه،مما جعل جميع عناوين مجموعتها القصصية« تعبيرا عن حالتها النفسية التي تعيشها والجوّ العام الذي في ضوئه حاولت الاندماج في وسط ينظر إليها نظرة رجالية»[42]،وقد قسمت هذه القصص داخل المجموعة إلى ظاهرتين سيكولوجيتين يتمظهر فيها النص القصصي النسوي الجزائري من خلال ظاهرة البطولة والتضحية التي عاشتها المرأة الجزائرية من خلال واقعها التاريخي/ السياسي القابع تحت وطأة الاستعمار الفرنسي،وظاهرة الحزن والخوف من خلال الرؤية الاجتماعية للمرأة الجزائرية التي تعدّ فردًا هاما داخل هرم المجتمع الجزائري،وعليه المجموعة القصصية لزهور ونيسي تصور لنا في النهاية تلك المشاهد التي نقلتها لنا من خلال عناوين مجموعتها القصصية وتصورات المبدعة/المرأة الجزائرية،وآهاتها التي نجدها تبدو جلية في عناوين قصصها التي اختارت جميع بطلاتها نساء قمن بالعديد من الوظائف التاريخية التي باتت تساهم في إماطة اللّثام عن العديد من التجارب المؤلمة التي عاشتها في فترة الاستعمار،وماتكبدته من ألام كانت وراء أحزانها التاريخية.

أ – ظاهرة التضحية/الإحتجاج:

تُعَدُّ الرواية من الفنون الأدبية التي تنطلق فيها نفسية الأديب نحو إبداع نوع من الرؤى المنثورة على ساحة العمل، وتقديم رؤية الأديب لواقعه بصورة فـــنية،جمالية« في عالم الجمال، والوجدان لأنه يرى الأشياء والأحاسيس رؤية طازجة، ليست نظرته وليدة المنطق، أو العلم ولكنها وليدة الحدس، وليست أدواته هي التحليل والتركيب بل هي الخيال المضيف»[43]،وقد يستعير المبدع بعض أدواته السياسية ومعانيها ورموزها وتواريخها وشخصياتها من أجل تبليغ رسالة ما للمتلقي الذي يساهم في التفاعل مع المثقف تاريخيًا/سياسيا دون دراسة منه كالتحفيز للثورة المسلّحة أو الفكريّة، أوتأبين شخصيّة سياسية ما،وهذا فعلاً ماحدث داخل العديد من القصص النسوية.

وهذا ماجعل« العلاقة بين الأدب والسياسة خصبة ومعقدة، ليس للسياسة في الأدب أن تحصر بالمعنى التقني فذلك ينفي الأدبية، السياسة في الأدب تحصر بمعناها التاريخي أي بما هي أشكال لوعيه وممارسته الحياة الاجتماعية، والأدبية ليمارس السياسة في إنتاجه ولكن بأدواته، (...) وما أصعب ذلك عندما يكون السرد هو أداة الرؤية»[44]،ومن خلال المدونة تحضر رؤية الروائّية- زهور ونيسي- في المجال السياسي من خلال علاقتها ببعض الأحداث التاريخية التي مرّت بها الجزائر من جيل الثورة إلى جيل الاستقلال، وما صحبها من ثورات تاريخية تأثرت بها الروائيّة، ومجمل هذه القصص هي كالآتي: (المرأة التي تطلق البنادق/ وراء القضبان)، والجدول الآتي يبرز علاقة مدونة (زهور ونيسي)بالتاريخ (الجزائري)،من خلال صورتي:(التضحية/ الاحتجاج)،وذلك من خلال التمثيل لبعض النماذج الوطنية، وهي مجسّدة في الجدول الآتي:

عنوان القصة	التمثيل السردي للحـــــــــقل الدلالي
المرأة التي تطلق البنادق	« بدأت تنزع ثوبها الخارجي بفك الأزرار،ثم الذي تحته ثم حزاما عريضا كالذي تستعمله المرأة بعد الوضع(...) وجحظت عيناي وأنا أراها تخرج من بطنها..من تحت الحزام شيئا أ سود (...)وحملتها كما حملتها صديقتي(فاطمة وعائشة)لا أدري لايهم...إنّ المرأة الحامل يبدوا "دائما عليها الاصفرار".. تعالي يا عزيزتي(...) إن السير ينفع النساء الحوامل » [45]
وراء القضبان	« شهيد، شهيد، شهيد،كم مرة في اليوم أسمع هذه الكلمة،أعيريها يا فاطمة الكتب إنّها ابنة شهيد، سهلي لها الامتحان يا فاطمة إنها بنت شهيد(...) ما هذا؟حتى أنا شهيدة..شهيدة.. لقد استشهدت أنا أيضا لعدة مرات إنّي اليوم عاملة وأم لأطفال في جزائر حرّة، ولا وجود أبدا لكلّ ما تذكرت،أليس هذا ماكان يطرق في أذهاننا باستحياء...» [46]

ب- ظاهرة الخوف/ الألم الاجتماعي:

قبل الخوض في مسألة العلاقة بين العمل الإبداعي والبيئة الاجتماعية يجدر بنا الإشارة إلى أن المبدع فرد يعيش وسط جماعة من الناس ، ويعبر عن ذاته كفرد اجتماعي بقصدية أو غير قصدية عن جملة الذوات الاجتماعية الأخرى فهو صوت الشعب الذي يعيش فيه ويتنفس أحلامه، وأحزانه، وأفراحه ضمن كلّ إنساني متفاعل وسط هاته التركيبة « مبلوراً آراءها واتجاهاتها، مجسما آمالها ومعبرا عن واقعها، وعما تصبو إليه انطلاقا من هذا الواقع وفي معركة الحياة والمصير» [47].

والمبدع إجمالا مسؤول عن تقدم مجتمعه وتأخره باعتباره مشاركا فيه متأثرا به مؤثرا فيه « ولعلّ مسؤولية الأديب أعظم شأنا وأبعدها خطرا لأن الأدب وحده من دون سائر الفنون، يقوم على مادة الألفاظ اللّغوية أي على مدلولات معنوية صريحة» [48] وعموما فإن« الوظيفة الاجتماعية للأدب تتجلى في نهوضه بأعبائه المعرفية والفكرية والتربوية وذلك فيما يزود به المتلقي من معرفة وخبرة وتوجيه»[49].

وقد حصرت الدّراسة المعجم الاجتماعي للمجموعة القصصيّة من خلال جملة من الدلالات التي تعكس الحياة الاجتماعية للمرأة الجزائرية من"عقيدة وأنماط سلوكيات اجتماعية إلى نفسية مكلومة" ونظرة الروائيّة "زهور ونيسي" إليها داخل هذا النظام لتعكس الرؤية الحدسية للروائية،ومن ثم إسقاطها على واقع المرأة الجزائرية التي مالبثت أن خرجت من معركة الكفاح المسلّح ليجد نفسه من جديد يسقط في معركة المشاركة في تأسيس كيان المجتمع الجزائري المستقل حديثا،ومجمل هذه القصص هي كالآتي:(سميّة /اللّوحة/ الثوب الأبيض/ المصير/هؤلاء النّاس/على الشاطئ الآخر/ الدرب الطويل/رحلة إلى القمر/ لماذا لا تخاف أمي؟/ خرفيّة/ فاطمة/ زغرودة الملايين/ مازلنا نقسم/عقيدة وإيمان)،والجدول الآتي يبرز علاقة المدونة القصصية (على الشاطئ)لـــــ زهور ونيسي بمجتمع المرأة (الجزائرية)، وذلك من خلال التمثيل لبعض النماذج الاجتماعية الجزائرية النسوية، وهنّ كالآتي:

عنوان القصة	التمثيل السردي للحـــــــقل الدلالي
سمـــــيّة	« كيف حالك؟ كيف حال البنية؟ لقد اخترت لها اسما جميلا..(سمية)اسم،إسلامي إنها أوّل شهيدة في الإسلام(...)...» [50].
اللّوحـــــة	« صورة قديمة بما فيها من أثار بناء أبيض،قبة بيضاء،سلم أبيض،أشجار... عجائز طليت جذوعها بالجير الأبيض، نساء تدخل وتخرج ملفوفة في حجاب أبيض ،كل ما فيها أبيض يومىء بالكفن بالموت،بالتجرد ،باللالون » [51]
الثوب الأبيض	«هيا يا عزيزتي الوقت راح،ونهار الشتاء قصير،ولابد أن نتم شراء القماش الأبيض،لأنّ الخياطة تنتظر،وتقف زهية كالحمل الوديع، وتموء نميرة،وكأنها تبكي،وتستعدّ هي للخروج مع أمّها،وليس بين ما ستشتريه وبين الكفن فرق»[52]
المصـــير	« اذهب ياعمي عبد الرزاق،مع السلامة،مازالت البركة وسأعمل على إيصال المنحة لك(...) ومرة أخرى يجد ابن الحلال الذي يقف ويترك له مقعده في السيارة الكبيرة فيسرح بعينيه عبر النافذة(...)وكأنّه يودع حياته، » [53]
هؤلاء النّاس	« لكن الناس لاترحم الجيران..يجعلون من الحبة قبة..إنّها تريد أن تبرهن لهم جميعا أنّها بريئة مما يقولوه فيها (...) ورغم ذلك..رغم كل ذلك.. فالعيون كلّها..عيون العجائز، تعلوها القذارة، قذارة الاتّهام الظالم، والشك القاتل، والسخرية المدمرة، إنّ هذا شيء لا يطاق.كلانا ضحية يا فاطمة» [54].
على الشاطئ الآخر	« إنّه الغروب في كل مكان حتى هناك بعيدا، بعيدا عندنا،وكان الشك يراوده في هذه الحقيقة،فتتنهد عاليا إن الغروب في بلادي مثل الشروق هنا،ويبتسم ابتسامة بعيدة عن الفجر،لأنّه هنا وليس هناك» [55].
الدرب الطويل	« كيف السبيل إلى فهم ما جرى بيني وبين صديقتي – إبراهيم-(...) وكيف يلعب ويلاعب لعبة "الغميضة" مع رجال الأمن العام وكل العاملين(...) باسم أمجاد وحق الاحتلال والاغتصاب (...) لندرك فورا أن نهايته كانت مرسومة ومحتومة منذ الخطوة الأولى التي سرقها في درب الدم الطويل» [56]
رحـــلة إلى القـــمر	وهاهو القمر ملك يمين الإنسان فلماذا لا يتوزع البشر ونصبح كلنا نسكن قصورا؟ ماذا لو خيرنا أمريكا على أن تأخذ القمر كله وتترك لنا فيتنام وفلسطين؟ لقد قمنا بالسلام (...) عليك يا قمر على أرضك الصخرية التي تغنت بها فيروز مرّة:- يا قمر أنا وياك،...» [57].

عنوان القصة	التمثيل السردي للحـــــــقل الدلالي
لماذا لا تخاف أمي؟	« لعلّ أمي،أيضا لو كان شافتني؟ قالها كمال وهو يُسائل نفسه:أخيرا يرى علما بين يديه،يلمسه، يضمه، يقبله،ثم حرمته أمه من هذه الأمنية الصغيرة » [58].
خرفيّـــــــة	« يالها من امرأة مسكينة، ألم يكفها ما قاسته؟ ألم تكتفي من الأتعاب والمشاق والمعارك؟(...) إنّ خرفية أرملة شهيد،قضى نحبه في بداية الكفاح المسلح، شاركت زوجها حبه ونضاله حيا وعندما مات خلفت مكانه» [59].
فاطـــــــمة	« كان كوخ فاطمة بعيدا عن الأكواخ الأخرى(...)عندما أطل جنود المظلات(...) كعادتهم يفتشون وينقبون(...) ووصل دور كوخ فاطمة في عملية التفتيش (...) تخير المرأة بين شرفها وابنها فتفضل موت ابنها..لتبقى هي بعده فتموت راضية دون أن يصل الأوغاد إلى سر من أسرار منظمتها » [60].

زغـــرودة المـــلايين	«علم الثورة؟خرجت هذه الجملة من فمي زهيرة(...)وفي هذه الدهشة(...) زغرودة انطلقت من فم أم سماك طويلة قوية مجلجلة(...) زغاريد رنتها تحير أذنيك بين الفرح والحزن،بين الأمن والفزع» [61].
مازلنا نقسم	« إنها أمسية الواحد والثلاثين من شهر أكتوبر عام 1964...والمدرسة،بل وكل المدارس..ستتعطل غدا..(...) لتحي شهدا الكفاح بدقيقة صمت واحدة تضم عمرا كاملا(...) قسما بالنازلات الماحقات..وإننا لانزال نقسم...» [62].
عقيدة وإيمان	« أتعلمين يا أم فاطمة أنك إذا بكيت على وحيدك الشهيد كثيرا عذبته و لم تلاقيه في الجنة؟فتحركت المسكينة كمن به مس (...)أحقا أراه وألاقيه عندما لا أبكي؟ فأمأت رأسي أن"نعم"..فتمتمت باعتقاد وإيمان وكأنها تخاطب روحا تتراءى لها: سامحني يا ولدي..فلن أعود إلى البكاء مرة أخرى» [63].

مما يلاحظ على الأديبة الجزائرية (زهور ونيسي) في مجموعتها القصصية: ((على الشاطئ الآخر) تنقل لنا مختلف آهات وأحزان المرأة الجزائرية من بنات جلدتها من خلال تصويرها لنضال المرأة في الثورة الجزائرية المجيدة؛ وهي تقوم بتنفيذ مهام عديدة خارج ميدان المعركة، حيث تحمل الأخبار والمعلومات، وتقوم بأعمال الطّهي، وخياطة الملابس للجنود، من خلال بعض النماذج النسائية المناضلة في الثورة التي تعكس شجاعتها وبطولتها التي نقلتها من خلال المجموعة القصصية لزمرة من النساء في كلّ أقصوصة سالفة للذكر، فكانت صورتها متعددة من الزوجة المجاهدة،إلى الشهيدة المخلصة لوطنها، و وصولا إلى المعلمة،والممرضة، والسجينة وغيرها من النماذج النسائية الثورية المناضلة التي حفلت بها مجموعتها القصصية، وانطلاقا من نضال الكاتبة(زهور ونيسي) الثوري؛ فإنّ موضوع الثورة ودور المرأة في حرب التحرير يعدّ من أبرز الموضوعات في أدبها القصصي، والروائي،مما يوحي بأنّ موضوع المرأة والثورة لديها هو المسيطر على فكرها، وكامل وجدانها مما يجعله يتكرر أحيانا في بعض كتاباتها، والملفت للانتباه كذلك تركيز (ونيسي) في قصصها ورواياتها على العنصر النسوي، بحيث أنّ معظم شخصياتها القصصية والروائية نسائية وبذلك تعددت الصور والأسماء حتى تبرز الكاتبة جوانب من بطولات المرأة الجزائرية، وتؤكد على فعاليتها في نضالها الثوري، كما نجد المبدعة من خلال كتاباتها عن أحداث المرأة الجزائرية ،فهي تدعوها من خلال منبرها السردي إلى ضرورة مواصلتها لمسيرة النضال السياسي خاصة بعد الاستقلال ،وهو ما فتِئت تُؤكّد عليه في كتاباتها،ويُعدّ هذا الموقف تطورا واضحا في رؤية (زهور ونيسي) النضالية بكل أبعادها واتجاهاتها.

وعليه بلـــــغ عدد قصص المجموعة التي مثلت ظاهرة التضحية، والاحتجاج لسيكولوجية المرأة الجزائرية (قصتين:02) بنسبة مئوية تقدر بـــ(12.5%)،أمّا ظاهرة الخوف/ الحزن فقد بلغت (14) قصـــة بنسبة مئوية تقدر بـــ(87.5%)،ولعلّ المدرج التكراري يوضح لنا التباين الملحوظ بين الظاهرتين السيكولوجيتين ليميّز للمتلقي ازدواجية الرؤية السرديّة عند الروائيّة المعاصرة"زهور ونيسي" من خلال المزج الفني بين (ظاهرة التحدي والصمود/ وظاهرة الخوف والحزن).

*- خـــــــــاتمة:

وفي ختام هذه المداخلة نجد أنّ غلاف المجموعة القصصية ومضامين القصص، وعتباتها مثّلت علامة سيكولوجية عبّرت عن مضمرات المجموعة القصصية ، وذهنية الرّوائية- زهور ونيسي - التي وقفت كثيرا على انتقاء العناوين المناسبة لمجموعتها القصصيّة حيث لم تخالف عادة الروائيين المحدثين الذين عادة ما يختارون عنوانا رئيسا يجمع في طياته مجمل المعاني الدلالية للإبداع المملوء بحيثيات التجربة الإبداعية،وفي مجمل القول يمكن الجزم أنّ المجموعة القصصية أعطت لمحة خاصة على بعض "الميولات النفسية،السياسية" خاصة عند إحدى المبدعات الجزائريات التي خاضت بصدق تجربة الإبداع النسوي كما تؤكّد على ذلك الناقدة المصرية: "عائشة بنت الشاطئ" قائـــلة عنها إنّ:« قصص زهور ونيسي تقدم إلى تاريخنا الأدبي المعاصر، نبض الضمير الشعبي للجزائر الثائرة، وتضيف إلى المقروء من بطولات المقاتلين في كتائب التحرير، بطولات آبائهم ونسائهم، وأطفالهم في كل ربع من

ربوع الجزائر وكل دار من دورها» [64]وبخاصة أثناء فترة الاستدمار الفرنسي من جهة ومن جهة ثانية تجربة الاستقلال ، ومرحلة البناء والتعمير الفكري والبشرى من جهة أخرى، حيث أبرزت في كتاباتها صورة المرأة الجزائرية النضالية والثورية ودورها الفعال خلال الثورة التحريرية، وهي محاولة جادة لتغيير النظرة الاجتماعية المنتقصة لدور المرأة النضالي في المجتمع، وإخراجها من أسْر التخلّف بأشكاله المختلفة، وتفعيل دورها في المجتمع وردّ الاعتبار لمكانتها ونبذ الذّهنيات البالية التي لا تقدم نفعا لها وللمجتمع كما أبرزت (ونيسي) في قصصها و رواياتها صورا نضالية حية لبطولات المرأة الجزائرية في الثورة ضد المستعمر، وهذا من خلال تصويرها لوقائع وأحداث حقيقية، ولنماذج نسائية متعددة شاركن من المدينة والريف.

الـــــــــــهوامش والإحـــــــــــالات:

أ- المصـــــــــادر:

*/ زهور ونيسي: على الشاطئ الآخر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 1979.

ب- المراجـــــع:

(1)محمد نور الدين أفاية: الهوية والاختلاف(في المرأة، الكتابة والهامش)،إفريقيا الشرق،الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1988،ص، 35.

(2) المتوكل طه وآخرون: شاعرا فلسطين إبراهيم وفدوى طوقان،مراجعة وتقديم ناصر الدين الأسد، دار الفارابي للنشرو التوزيع، عمان، الأردن،ط1 ،2006 ص130.

(3) جليلة الطريطر: كتاب الهوية الأنثوية في السيرة الذاتية العربية الحديثة ، مجلة الحياة الثقافية،وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، ع195، تونس،2008، ص06.

(4)المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5)لوسي يعقوب: لغة الأدب والشعر في كتابات المرأة العربية، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص 03.

(6) المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

(7) المرجع نفسه، ص63.

(8) المرجع نفسه، ص04.

(9) المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

(10) المرجع نفسه ،ص04.

(11) عبد الله محمد الغذامي: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط1 ، 1999. ص53.

(12) المرجع نفسه،ص36.

(13) لوسي يعقوب: لغة الأدب والشعر في كتابات المرأة العربية، المرجع نفسه ،ص194.

(14) نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة،،دار توبقال للنشر،الدار البيضاء،المغرب، ط1، 2007. ص381.

(15) عبد العزيز موافي: قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر،ط1، 2004،ص 22

(16) محمد جابر عباس: شعرية البنية الدرامية والقصصية في القصيدة الكويتية المعاصرة، مجلة البيان،ع 370، الكويت 2001، ص08، 09.

(17) عبد الفتاح صبري:صورة المرأة في القصة النسائية،الإماراتية،(مقتربة تأويلية)،منشورات اتحاد كتاب وأدباء الأمارات، الشارقة، الأمارات العربية المتحدة، ط1، 2005.ص27، 28.

[18] أسامة يوسف شهاب: الحركة الشعرية النسوية في فلسطين والأردن(1948-1988)، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص320.

[19] المرجع نفسه،ص108.

[20] عبد الفتاح صبري: صورة المرأة في القصة النسائية،ص27، 28.

[21] أسامة يوسف شهاب:الحركة الشعرية النسوية في فلسطين(1984-1988)،ص218.

[22] المرجع نفسه،ص321.

[23] عبد الفتاح صبري: صورة المرأة في القصة النسائية، ص28.

[24] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[25]حفناوي بعلي: النقد النسوي في خطابات النسوية المغاربية، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، ع195،تونس،2008،ص 24.

[26] مجموعة من الكاتبات والكتاب:الكتابة النسائية(محكي الأنا،محكي الحياة)،اتحاد كتاب المغرب،المغرب،ط1، 2007، ص07.

[27] عبد الواحد معروفي: في رحاب الشعر، دراسة أدبية ، مطبعة تانسيفت، مراكش، ط1، 1994، ص6.

[28] أسامة يوسف شهاب:الحركة الشعرية النسوية في فلسطين والأردن(1948-1988)، ص37.

[29] المرجع نفسه، ص38.

[30] نعيمة هدى المدغري: النقد النسوي(حوار المساواة في الفكر والأدب)، منشورات فكر دراسات وأبحاث، الرباط، المغرب، ط1، 2009، ص152.

[31]خالد حسين حسين: في نظرية العنوان(مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، التلوين للتأليف والترجمة والنشر،دمشق، سوريا، ط1، 2007، ص146.

[32]حفناوي بعلي:مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن(المنطلقات- المرجعيات- المنهجيات)،منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص122.

[33]المرجع نفسه،ص117.

[34]المرجع نفسه،112.

[35] قدور عبد الله ثاني: سيميائية الصورة، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران، الجزائر، د.ط، 2004، ص 152.

[36]محمد بن يوب: آلية قراءة الصورة البصرية ، الملتقى الدولي التاسع للرواية عبد الحميد بن هدوقة، دراسات وإبداعات الملتقى الدولي الثامن،وزارة الثقافة، مديرية الثقافة، ولاية برج بوعريريج، الجزائر، 2006 ، ص82.

[37] محمد بازي: العنوان في الثقافة العربية،(التشكيل ومسائل التأويل)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص88

[38] *Charles Baudoin :Psychanalyse de Victor Hugo, Armand Colin,Paris,1942,P21*

[39] محمد كعوان: الإرهاصات النظرية للتحليل النفسي(النقد النفساني- قراءة في المفهوم والإجراء)،مجلة الناص، ع09،منشورات جامعة جيجل،ص406.

[40]حفناوي بعلي،مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن(المنطلقات- المرجعيات- المنهجيات)،ص122.

[41] موهوب أحمد:علاقة النقد بعلم النفس وعلم الإجتماع،مجلة الناص، ع09،منشورات جامعة جيجل،ص279.

[42] ناصر معماش: النص الشعري النسوي العربي في الجزائر(دراسة في بنية الخطاب)،دار حلب، الجزائر،ط1، 2007، ص107.

[43] خالد الكركي: الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت، لبنان، مكتبة الرائد العلمية، عمان، الأردن، ط1، 1989، ص21.

(44) نبيل سليمان: أسئلة الواقعية والإلتزام، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1985، ص92.

(45) الرواية، ص 44 ،48 ،49.

(46) الرواية، ص 99،108 .

(47)ميشال عاصي: الأدب والفن، بحث جمالي في الأنواع والمدارس الأدبية والفنية، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1970، ص41.

(48) المرجع نفسه، ص43.

(49) نبيل سليمان: أسئلة الواقعية والالتزام، دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا، ط1، 1985، ص 93.

(50) الرواية، ص 37.

(51) الرواية، ص 52.

(52) الرواية، ص 63 ،64.

(53) الرواية، ص 72 ،73.

(54) الرواية، ص 84 ،85 .

(55) الرواية، ص90.

(56) الرواية، ص 112.

(57) الرواية، ص 126، 127 .

(58) الرواية، ص 138، 139.

(59) الرواية، ص 145،149.

(60) الرواية، ص 160 ،161 ،163.

(61) الرواية، ص 179،181.

(62) الرواية، ص 184،197.

(63) الرواية، ص207 ،209.

(64) الرواية، ص09 .